



لا مؤشرات إلى أن الحرب السورية تتجه إلى أي تسوية من أي نوع كان.

رغم كل ما استخدمت فيها من أسلحة، وصولاً إلى ما تردد عن قنابل غاز، ورغم كل الجهود السياسية التي ما تزال تتعثر على اعتاب مهمة الأخضر الإبراهيمي.

وغياب التسوية في ذاته يعني أن سورية مهددة بالدمار الشامل، حبراً وبشراً، بني تحتية واقتصاد، مؤسسات إدارية وعسكرية.

ولا مجالة أن مشاهد من حمص وحماة وإدلب ودير الزور ودرعاً، وحتى في العاصمة، تنتظر ما نراه من الصومال حيث تحول بلد بأكمله إلى ركام وشعبه إلى مشردين.

وهذا ما ينتظر سورية، مع مرور كل ساعة من الوقت. ففي كل ساعة يقتل تدمير عشرات الأبنية ويقتل عشرات الأشخاص ويهجر المئات من منازلهم. ومع مرور الأيام باتت الحصيلة مروعة على المستوى الإنساني والعمري. لكن سورية ليست الصومال. سورية كانت ولا تزال القلب النابض لحضارة المنطقة.

وعمرانها كان الدليل على ما أنجنته هذه المنطقة من رقي وتقديم. وشعبها كان الدليل على قدرة هذه المنطقة على التعايش والمواطنة. كل هذا مهدداليوم بالصوملة.

قد نجد تبريرات للموقف اللامبالي للعرب من الصومال. فهو بلد طرفي وغير مؤثر في المنطقة، والأثار السلبية لتدميره وتشريد أهله انحصرت في القرن الإفريقي ولم تمس المنطقة العربية، باستثناء اليمن الذي نزح إليه لاجئون صوماليون. وعلى ذكر اليمن الذي عانى بدوره أزمة خطيرة لا يزال يبحث عن كيفية الخروج منها، يمكن أن نلاحظ أن حداً أدنى من الضغط والتدخل من مجلس التعاون الخليجي أقنع المجتمع الدولي بأن يفرض على الرئيس السابق علي عبدالله صالح التنازل وتسهيل التسوية.

أي أن تحركاً عربياً يمكن أن تكون له انعكاسات على المواقف الدولية وعلى تسهيل الحلول. المبررات التي جعلت العرب يتبعون عن الصومال لا يمكن إحضارها في الحالة السورية.

وإذا كان بعض العرب غير مهتم بسورية الوطن، كما أهملوا يوماً لبناء الدولة وتركوه نهشاً للاقتال، فإن من مصلحة العرب أن يهتموا بالآثار الناتجة عن المآل السوري، لأنها ستتعكس مباشرة على دولهم ومصالحهم.

والتدخل العربي في شأن الأنماط السورية لم يعد تدخلاً في شأن داخلي لدولة مستقلة، إنما بات ضرورة للدفاع عن المصالح

الوطنية لكل دولة في المنطقة.

سورية تواجه، في ظل غياب الحل السريع، أسوأ السيناريوهات. دمار كامل وشامل ولجوء أهلها إلى الجوار الذي يعاني ما يعانيه من ضائقه ومعضلات، هذا الدمار الذي يفرخ كل أشكال الشلل الاجتماعي والتطرف الإيديولوجي والتشدد الديني، ما سينعكس وبلا على الجوار العربي. أو سينعزل الحكم السوري الحالي في منطقة ذات غالبية طائفية، ما يجعل البلاد في طور يدخل تعديلا جيو استراتيجية على منطقة تعاني من الهشاشة الشيء الكثير، ولن تتأخر بذور مماثلة في أكثر من بلد عربي في البزوج.

لذلك لم يعد مفهوما أن يقتصر سلوك العرب وجامعتهم على تلمس كلمة ملتيسة من موسكو، علها تحرك حلا دوليا مبهمأ أو توافقا أميركيا - روسيا على اقتسام المصالح.

كما لم يعد مفهوما أن يقتصر السلوك العربي على دعوات إلى مؤتمرات لمساعدة الشعب السوري أو إرسال شاحنات إلى هذا المخيم أو ذاك للاجئين السوريين.

فكل ذلك ليس أكثر من مخدر لضمير، ولا يتصدى لعمق الأزمة ولضرورة محاصرتها وإيجاد الحل السريع لها. ليس من الواضح تماما أن قيمة الوطن السوري، بحضارته وتجربته وثقافته، مسألة تشغف كثيرا بالعرب. فالتجارب الكثيرة أظهرت أن مثل هذا الاعتبار ليس أساسيا، وتجربة العرب مع لبنان خير مثال على ذلك، لقد تدمرت هذه التجربة من دون أن تلقي وزرا عليهم.

أما سورية فشأن آخر، فدمارها المستمر سيكون وبلا عليهم جميعا. وهم، إن لم يكونوا يرغبون في إنقاذ التجربة السورية والوطن السوري، فعلى الأقل أن يعملا على إنقاذ أنفسهم من ويلات تدميرها.

الحياة

المصادر: